الأكاديمية العربية الدولية

الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الأكاديمية العربية الدولية

المقررات الجامعية

www.aiacademy.info | care@aiacademy.info

مفهوم التنشئة الاجتماعية وأساليب المعاملة الوالدية

دراسة في علم الاجتماع التربوي

الدكتور

حسام الدين فياض

٢٠١٥

نحو علم اجتماع تنويري

بسم الله الرحمن الرحيم

مفهوم التنشئة الاجتماعية وأساليب المعاملة الوالدية

- دراسة في علم الاجتماع التربوي -

د. حسام الدين فياض

الناشر نحو علم اجتماع تنويري
الطبعة الأولى
عام ٢٠١٥

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

نحو علم اجتماع تنويري

أنا علم الاجتماع
نحو علم اجتماع تنويري

- **المقدمة:**

إن سلامة المجتمع وقوة بنيانه ومدى تقدمه وازدهاره وتماسكه مرتبط أشد الارتباط بسلامة الصحة النفسية والاجتماعية لأفراده، فالفرد داخل المجتمع هو صانع المستقبل وهو المحور والهدف والغاية المنشودة. فما حول هذا الفرد من إنجازات وتخطيطات ليست أكثر من تقدير لمدى فعالية هذا الفرد، ولهذا فإن المجتمع الواعي هو الذي يضع نصب عينه قبل اهتماماته بالإنجازات والمشاريع المادية الفرد كأساس لازدهاره وتقدمه الاجتماعي. ولما كان الكائن البشري عند ميلاده عاجزاً عن مواجهة حياته وتصريف شؤونها، ثم بالتدريج يندمج في عملية طويلة ومعقدة تؤهله لأن يتعلم كيف يتعايش مع مجتمعه. هذا ما نطلق عليه بعملية التنشئة الاجتماعية.

وتعد عملية التنشئة الاجتماعية من أقدم العمليات في المجتمع البشري، وهي سمة مميزة لكل المجتمعات البشرية في الماضي والحاضر، سواءً أكانت بدائية أم نامية أم متحضرة (متقدمة). ويتم من خلال هذه العملية ملاءمة سلوك الفرد ليتطابق مع توقعات الجماعة التي ينتمي إليها والمحافظة على بقاء المجتمع واستمراريته من خلال نقل ثقافته ومعاييره وضوابطه السلوكية من جيل إلى آخر،

نحو علم اجتماع تنويري

وتحقيق التوازن والتماسك في بيئة اجتماعية تتسم بالتغير وعدم الثبات النسبي عبر المستجدات المتلاحقة، كما تهدف هذه العملية بشكل أساسي تحويل الفرد من كائن عضوي إلى كائن اجتماعي وفرد ناضج يعي معنى المسؤولية الاجتماعية وكيف يتحملها، بحيث يصبح قادر على ضبط انفعالاته والتحكم في إشباع حاجاته.

ومن الجدير بالذكر أن التنشئة الاجتماعية كعملية مستمرة لا تقتصر فقط على مرحلة عمرية محددة وإنما تمتد من الطفولة، فالمراهقة، فالرشد وصولاً إلى الشيخوخة ولهذا فهي عملية مستمرة حساسة لا يمكن تجاوزها في أي مرحلة لأن لكل مرحلة تنشئة خاصة تختلف في مضمونها وجوهرها عن سابقتها، ولا يكاد يخلو أي نظام اجتماعي صغيراً كان أم كبيراً وأي مؤسسة رسمية أو غير رسمية من هذه العملية، ولكنها تختلف من واحدة إلى أخرى بأسلوبها لا بهدفها. ومن أبرز مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأسرة، التي تعتبر البيئة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الفرد وتبنى فيها شخصيته الاجتماعية باعتبارها المجال الحيوي الأمثل للتنشئة الاجتماعية والقاعدة الأساسية في إشباع مختلف حاجات الفرد المادية منها والمعنوية بطريقة تساير فيها المعايير الاجتماعية والقيم الدينية والأخلاقية، كما تلعب مؤسسات التنشئة

نحو علم اجتماع تنويري

الاجتماعية الأخرى كالمدرسة، ودور العبادة، والجامعة، وسائل الإعلام والاتصال، دوراً أساسياً في إتمام وتوجيه عملية التنشئة الاجتماعية في إطار تكاملي يحقق الانسجام القيمي والاجتماعي داخل المجتمع.

أولاً- تعريف مفهوم التنشئة الاجتماعية

١- **لغوياً**: تنشئة: (اسم) مصدر نشّأَ. نشّأَ: (فعل) أي نشَّأَ ينشِّئ، تَنْشِئةً، فهو مُنشِّئ، والمفعول مُنشَّأ. نشَّأ الصبي: أي ربَّاه وهذَّبه وعلَّمه. أي ارتفع عن حد الصبا وبلغ الإدراك، ونشأ في بني فلان أي تربى بينهم. وقد عرف أبو القاسم الأصفهاني معنى التنشئة لغوياً: نشأ النشء، والنشأة إحداث الشيء وتربيته، والإنشاء هو إيجاد الشيء وتربيته.

٢- **اصطلاحاً**: التنشئة الاجتماعية ليست بالاختراع العلمي الحديث، بل هي عملية قديمة مارستها المجتمعات الإنسانية منذ القدم. وقد اهتم بمفهوم التنشئة الاجتماعية علماء النفس والانثروبولوجيا والاجتماع كلٌ حسب توجهاته ومنطلقاته النظرية والمنهجية، وقد اطلقوا عليه تسميات مختلفة كالتعلم الاجتماعي، والاندماج الاجتماعي، والتطبيع الاجتماعي.

حسام الدين فياض علم اجتماع تنويري

وتعلو التنشئة عن كونها مجرد منهاج للتعلم الرسمي لأنها تشتمل على اكتساب المواقف والقيم والسلوكيات والعادات والتقاليد والمهارات. وتنتقل للكائن البشري عن طريق الأسرة بشكل أساسي وفيما بعد عن طريق المدرسة ومجموعة الرفاق ووسائل الاتصال الإعلامي ومواقع التواصل الاجتماعي. كما أن مضامين الأشكال المختلفة للتنشئة ليست منفصلة عن بعضها البعض، لكنها في بعض الأحيان لا تعمل بشكل منسجم. لذا يمكن القول بأن عملية التنشئة الاجتماعية التي يعيشها الفرد ذاته تعد عملية معقدة إلى حد بعيد، وتختلف من بشكل ملحوظ من داخل المجمع ذاته من مجتمع لآخر.

أما عن تعريف مفهوم التنشئة الاجتماعية نجد أنه لا يوجد اتفاق بين علماء الاجتماع والتربية على تعريف موحد وشامل لمفهوم التنشئة الاجتماعية بسبب اختلاف منطلقاتهم النظرية والمنهجية في رؤيتهم وتحليلهم وتفسيرهم لمفهوم التنشئة الاجتماعية. عليه سنحاول استعراض بعض التعاريف لتكوين تعريف جامع شامل ليس بالمناع، وهي كالآتي:

يعرف **تشيلد** مفهوم التنشئة الاجتماعية " بأنها العملية الكلية التي يُوَجّه بواسطتها الفرد إلى تنمية سلوكه الفعلي

في مدى أكثر تحديداً، وهو المدى المعتاد والمقبول طبقاً لمعايير الجماعة التي ينشأ فيها ".

أما **اميل دوركايم** فإنه يعرف التنشئة الاجتماعية بأنها " عملية استبدال الجانب البيولوجي بأبعاد اجتماعية وثقافية لتصبح هي الموجهات الأساسية لسلوك الفرد في المجتمع ".

ويعتقد **بارسونز** أنها عبارة عن " عملية تعليم تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي عملية مستمرة لا نهاية لها ".

كما يعرف **أوجبرن و نمكوف** التنشئة الاجتماعية على " أنها العملية التي يتحول من خلالها الأفراد إلى أناس في مجتمع.

ويذهب **روبرت دون وجيري** " بأنها عملية تعليم المعتقدات والقيم وهي عملية تجعل الطفل مسؤولاً وعضواً مقتدراً في المجتمع ".

أما **مصطفى حدية** يرى " أنها عملية استدخال للمعايير الاجتماعية كجزء من الشخصية وتعبير عن الهوية، فالفرد خلال تنشئته يبني ويكون تفكيره الاجتماعي كتمثلات حول

نحو علم اجتماع تنويري

الذات في علاقتها بالآخر والمحيط الاجتماعي، فعملية البناء هذه يمكن فهمها على أنها المجال الداخلي والإجرائي للفرد أي حصيلة الصور والمفاهيم والأحكام المتعلقة بالذات والمحيط الاجتماعي.

ويشير **عبد الرحمن العيسوي** إلى التنشئة الاجتماعية على أنها " العملية التي تتشكل من خلالها معايير الفرد ومهاراته ودوافعه واتجاهاته الراهنة وسلوكه لتكون متناغمة مع ما يعتبره المجتمع مرغوباً لأدواره الراهنة والمستقبلية في المجتمع ".

ويتضح من العرض السابق أن عملية التنشئة الاجتماعية عملية معقدة متشعبة، تتضمن من جهة كائناً بيولوجياً له تكوينه الخاص واستعداداته المختلفة، ومن جهة أخرى شبكة من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تحدث داخل إطار معين من المعايير والقيم، ومن جهة ثالثة تفاعلاً ديناميكياً مستمراً بين التنشئة والفرد يؤدي إلى نمو ذات الفرد تدريجياً.

وتتفق أغلب التعريفات حول الهدف الأساسي من التنشئة الاجتماعية والذي يتمثل في تشكيل الكائن البيولوجي وتحويله إلى كائن اجتماعي.

نحو علم اجتماع تنويري

وخلاصة تلك التعاريف يمكننا القول أن التنشئة الاجتماعية " **هي العملية التي يتم من خلالها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل عن طريق تعليم الفرد منذ نشأته المعتقدات والقيم والعادات والتقاليد والأعراف والمهارات في المجتمع الذي ينتمي إليه حتى يستطيع التكيف مع أفراده من خلال ممارسته لأنماط من المعايير والأدوار المقبولة اجتماعياً لتجعل منه عضواً فاعلاً ومنفعلاً داخل أسرته ومجتمعه، ويشكل التفاعل الاجتماعي جوهر عملية التنشئة الاجتماعية** ".

ثانياً- خصائص التنشئة الاجتماعية

وبناءً على ما تقدم يمكن لنا استخلاص الخصائص التالية التي تتسم بها التنشئة الاجتماعية، وهي كالآتي:

- ✓ هي عملية مستمرة تبدأ بالحياة ولا تنتهي إلا بانتهائها.
- ✓ التنشئة الاجتماعية ممتدة عبر التاريخ.
- ✓ هي عملية عامة منتشرة في جميع المجتمعات البدائية منها، والنامية، والمتقدمة.
- ✓ هي عملية تلقائية، أي ليست من صنع فرد أو مجموعة من الأفراد بل هي من صنع المجتمع.
- ✓ التنشئة الاجتماعية عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره

نحو علم اجتماع تنويري

الاجتماعية والمعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الأدوار، ويكتسب الاتجاهات والأنماط السلوكية التي ترتضيها الجماعة ويوافق عليها المجتمع.

- ✓ يتحول الفرد عبرها من طفل يعتمد على غيره متمركز حول ذاته إلى فرد ناجح يقدر معنى المسؤولية الاجتماعية.
- ✓ تختلف من مجتمع إلى آخر بالدرجة ولكنها لا تختلف بالنوع.
- ✓ هي عملية لا يقتصر القيام بها على الأسرة فقط، لكن هناك مؤسسات أخرى مثل: (**الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق، ودور العبادة، ووسائل الإعلام، ومواقع التواصل الاجتماعي**).
- ✓ التنشئة الاجتماعية ليست ذات قالب أو نمط واحد جامد وإنما يختلف نمطها من بيئة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر، ويرجع ذلك إلى أنها عملية تتأثر بالكثير من العوامل المجتمعة كثقافة المجتمع ونوعيته (بدو، ريف، حضر... إلخ) والعوامل الأسرية، كالوضع الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي للأسرة، وعدد الأبناء في الأسرة، وحجمها، وترتيب الطفل فيها، واتجاهات الوالدين نحو تنشئة أبنائها، وغير ذلك من العوامل الأخرى.

نحو علم اجتماع تنويري

- ✓ التنشئة الاجتماعية لا تعني صب أفراد المجتمع في بوتقة واحدة بل تعني اكتساب كل فرد شخصية اجتماعية متميزة قادرة على التحرك والنمو الاجتماعي في إطار ثقافي معين.

ثالثاً- العوامل العامة المؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية

في واقع الأمر تختلف شدة تأثير تلك العوامل على عملية التنشئة الاجتماعية داخل المجتمع الواحد، ومن مجتمع لآخر تبعاً للسمات والخصائص التي يتميز بها. وعلى العموم تنقسم تلك العوامل إلى مجموعتين أساسيتين، وهما كالآتي:

المجموعة الأولى **العوامل الداخلية** وتشمل كل من: **الأسرة، طبيعة العلاقات الأسرية، الدين، الوضع الطبقي، الوضع الاقتصادي والاجتماعي، المستوى التعليمي والثقافي، النوع الاجتماعي (الجنوسة):**

١- **الأسرة:** هي الوحدة الاجتماعية التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، فهي أول ما يقابل الإنسان، وهي التي تسهم بشكل أساسي في تكوين شخصية الطفل من خلال التفاعل والعلاقات بين الأفراد، لذلك فهي أولى العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية،

نحو علم اجتماع تنويري

ويؤثر حجم الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية ولاسيما في أساليب ممارستها حيث إن تناقص حجم الأسرة يعد عاملاً من عوامل زيادة الرعاية المبذولة للطفل.

٢- **طبيعة العلاقات الأسرية:** تؤثر العلاقات الأسرية في عملية التنشئة الاجتماعية، حيث إن السعادة الزوجية تؤدي إلى تماسك الأسرة، مما يخلق جواً يساعد على نمو الطفل بطريقة متكاملة. وعلى العكس من الأسرة التي تعاني من التفكك الأسري أو الطلاق النفسي.

٣- **الدين:** يؤثر الدين بصورة كبيرة في عملية التنشئة الاجتماعية، وذلك بسبب اختلاف الأديان والطِباع التي تنبع من كل دين. لذلك يحرص الإسلام على تنشئة أفراده بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والقدوة الصالحة لسلف الأمة ومن تبعهم بإحسان.

٤- **الوضع الطبقي:** تعد الطبقة التي تنتمي إليها الأسرة عاملاً مهماً في نمو الفرد، حيث تساهم إلى كبير في تشكيل شخصية الطفل وتطلعاته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فالأسرة التي تنتمي إلى الطبقات العليا سيختلف أسلوب تنشئتها حكماً عن الأسرة التي تنتمي إلى الطبقات الوسطى أو الدنيا وذلك حيث الأسلوب لا الهدف.

نحو علم اجتماع تنويري

٥- **الوضع الاقتصادي والاجتماعي:** أكدت العديد من الدراسات أن هناك ارتباطاً إيجابياً بين الوضع الاقتصادي والاجتماعي للطفل وبين الفرص التي تقدم لنمو الطفل، ويعتبر الوضع الاقتصادي أحد أهم العوامل المسؤولة عن شخصية الطفل ونموه الاجتماعي إذا ترافق مع التوجيه البناء والصحيح.

٦- **المستوى التعليمي والثقافي:** يؤثر ذلك من حيث مدى إدراك الأسرة لحاجات الطفل وكيفية إشباعها والأساليب التربوية المناسبة للتعامل مع الطفل.

٧- **النوع الاجتماعي (الجنوسة):** حيث إن أدوار الذكر تختلف عن أدوار الأنثى، فالطفل الذكر تنمى في داخله المسؤولية والقيادة والاعتماد على النفس، في حين أن الأنثى في المجتمعات الشرقية خاصة لا تنمى فيها هذه الأدوار، كما أن ترتيب الطفل في الأسرة كأول الأطفال أو الأخير أو الوسط له علاقة بعملية التنشئة الاجتماعية سواء بالتدليل أم بعدم خبرة الأسرة بالتنشئة وغير ذلك من العوامل.

أما المجموعة الثانية فإنها تمثل **العوامل الخارجية** وتشمل كل من: **المؤسسات التعليمية، جماعة الأقران، دور**

العبادة، ثقافة المجتمع، الوضع الاقتصادي الاجتماعي للمجتمع، وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي:

١- **المؤسسات التعليمية:** وتتمثل في دور الحضانة والمدارس والجامعات ومراكز التأهيل المختلفة.

٢- **جماعة الأقران:** حيث الأصدقاء من المدرسة أو الجامعة أو النادي أو الجيران وقاطني المكان نفسه وجماعات الفكر والعقيدة والتنظيمات المختلفة.

٣- **دور العبادة:** حيث تقوم دور العبادة بدور فعال في تربية الطفل وتشكيل شخصيته وتنشئته الاجتماعية حيث تقوم على تعليم الفرد والجماعة التعاليم والمعايير الدينية التي تمد الفرد بإطار سلوكي معياري يؤدي إلى توحيد السلوك الاجتماعي.

٤- **ثقافة المجتمع:** لكل مجتمع ثقافته الخاصة المميزة له والتي تكون لها صلة وثيقة بشخصيات من يحتضنه من الأفراد، لذلك فثقافة المجتمع تؤثر بشكل أساسي في التنشئة وفي صنع الشخصية الوطنية.

٥- **الوضع السياسي والاقتصادي للمجتمع:** حيث إنه كلما كان المجتمع أكثر هدوءً واستقراراً ولديه الكفاية الاقتصادية أسهم ذلك بشكل إيجابي في التنشئة الاجتماعية، وكلما اكتنفته الفوضى وعدم الاستقرار

نحو علم اجتماع تنويري

السياسي والاقتصادي كان العكس صحيح كما هو في حالات الحروب السياسية والصراعات الأهلية والطائفية.

٦- وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي: لعل أخطر ما يهدد التنشئة الاجتماعية الآن هو الغزو الثقافي الذي يتعرض له الأطفال من خلال وسائل الإعلام المختلفة ولاسيما التليفزيون وخاصة في زمن الفضائيات والبث الرقمي، حيث يقوم بتشويه العديد من القيم التي اكتسبها الأطفال فضلاً عن تعليمهم العديد من القيم الأخرى الدخيلة، التي لا تتناسب مع قيم ومبادئ الثقافة الأم. أما فيما يتعلق بمواقع التواصل الاجتماعي فإن لها أثر سلبي على عملية التنشئة الاجتماعية التي يشكل التفاعل الاجتماعي جوهرها، حيث يؤدي إدمان استخدام تلك المواقع إلى تقليل واضمحلال مهارات التفاعل الشخصي بين أفراد المجتمع، بسبب التعلق بالتواصل الافتراضي، مما يؤدي إلى وجود شرخ في طبيعة العلاقات الاجتماعية من خلال تعزيز ثقافة العزلة والتنافر بين أفراد المجتمع ، وتلاشي قيم التواصل الأسري وخصائص المجتمع التراحمي مما ينعكس سلباً على خصائص التنشئة الاجتماعية.

نحو علم اجتماع تنويري

رابعاً- عمليات التنشئة الاجتماعية

تتكون عمية التنشئة الاجتماعية من مجموعة من العمليات التي يتحول من خلالها الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، ومفهوم العملية يعني ما ينتاب الشيء من تغير يكسبه خصائص وسمات جديدة تميزه عن غيره. وتمثل التنشئة الاجتماعية عملية تغير تصاحب الفرد خلال مراحل حياته المختلفة، حيث تختلف بالأسلوب لا بالأهداف. وفيما يلي سنحاول استعراض أهم العمليات الفاعلة في آلية عمل مفهوم التنشئة الاجتماعية، وهي كالآتي:

١- **عملية التعلم:** يلعب التعلم دوراً هاماً في عملية التنشئة الاجتماعية، إلا أن التنشئة الاجتماعية أعم من التعلم لأنها حصيلة عمليات متعددة ومختلفة، لكن عملية التعلم هي أهم تلك العمليات. والتعلم عبارة عن العملية التي يكتسب من خلالها الفرد طرق إشباع دوافعه، أو يصل عن طريقها إلى تحقيق أهدافه. كما ينظر إلى التعلم باعتباره التغيير المطرد الذي يقع في السلوك ويرتبط من ناحية بالمواقف الجديدة التي يواجهها الفرد وبمحاولاته المستمرة للاستجابة مع المحيط بنجاح.

نحو علم اجتماع تنويري

وتعتبر عملية التنشئة الاجتماعية عبارة عن عملية تعلم لأنها تتضمن تغييراً للسلوك وتعديلاً فيه أمام خبرات معينة، كما أن مؤسسات التنشئة الاجتماعية تستخدم بالضرورة أساليب التعلم بقصد أو بغير قصد، ومن جهة أخرى أيضاً تخضع التنشئة لنفس قواعد التعلم من تعزيز وعقاب وإضفاء وتعميم وتميز وغيرها.

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن السلوك يقوم على التعزيز (التدعيم) فالسلوك المعزز عن طريق الثواب يميل إلى التكرار في نفس المواقف، أما السلوك المعزز بالعقاب يميل إلى التوقف، فمبدأ التعزيز كافياً في ظهور بعض السلوكيات الجديدة عند الطفل. وبالمقابل نجد أن الأفراد لا يتعلمون السلوك الذي قاموا به فقط إنما أيضاً السلوك الذي قام به الآخرون من خلال مراقبتهم وملاحظة نتاج ذلك فنحن لا نتعلم سلوكيات مسبقة فقط إنما أيضاً القواعد التي هي أساس ذلك السلوك.

وتهتم عملية التعلم أيضاً بمفهومي المكانة الاجتماعية والدور الاجتماعي، فالفرد ينبغي أن يدرك الأدوار الاجتماعية لذاته وللآخرين، ويكتسب ذلك من خلال عملية التفاعل الاجتماعي أي الأخذ والعطاء والتأثر والتأثير مع الآخرين مثل: الآباء والراشدين الذين لهم مكانة

حسام الدين فياض مكتبة علم اجتماع تنويري

في ذاته، فلابد من الارتباط العاطفي لكي يتم اكتساب الدور من خلال التعلم المباشر والنماذج الاجتماعية.

٢- **عملية تكوين الأنا والأنا الأعلى**: يتكون الجهاز النفسي للفرد من (**الهو، والأنا، والأنا الأعلى**). والأصل في هذا الجهاز الهو أو الجزء اللاشعوري وهو منبع الطاقة الحيوية والنفسية ويتكون من مجموع الغرائز الجنسية والعدوانية، وهو بخصائصه اللاشعورية لا أخلاقي ولا منطقي ويسعى دائماً إلى تحقيق اللذة ويتميز به الفرد كمجرد كائن عضوي عن الشخص كذات اجتماعية. أي هو الشخصية البدائية التي يتناولها المجتمع بالتهذيب والتحوير.

أما الأنا فهو مركز الشعور والإدراك الحسي الخارجي والداخلي، والعمليات العقلية، وهو المشرف عن الجهاز الحركي والإداري ويتكفّل الأنا بالدفاع عن الشخصية، ويعمل على توافقها مع البيئة الخارجية وإحداث التكامل وحل الصراع بين مطالب الهو وبين مطالب الأنا الأعلى وبين الواقع الاجتماعي. بمعنى آخر إن وظيفة الأنا هي التوفيق بين مطالب (الهو) والظروف الخارجية وينظر إليه كمحرك ومنقذ للشخصية، ويعمل الأنا في ضوء مبدأ

نحو علم اجتماع تنويري

الواقع. وينمو عن طريق الخبرات التربوية التي يتعرض لها الفرد من الطفولة إلى الرشد.

وأخيراً الأنا الأعلى: وهو نقيض الهو، هو الملاك وهو مستودع المُثل، والخير، والحق، والأخلاق، أي إنه يمثل الجانب القيمي والاجتماعي والثقافي وما تحمله من قيم وعادات وتقاليد وأعراف جمعية للمجتمع. وينمو الأنا الأعلى مع نمو الفرد ويتأثر في نموه في الحياة العامة، كما أنه يتعدل ويتهذب بازدياد ثقافة الفرد وخبراته في المجتمع. **ولكن السؤال الذي يطرح نفسه كيف تتم عملية التنشئة الاجتماعية في ضوء تكون الجهاز النفسي للفرد؟**

في حقيقة الأمر يتم ذلك عندما يحتك الهو بالمجتمع (الأنا الأعلى) تبدأ عملية تكوين الأنا أو الصيرورة من الفردية إلى الشخصية. وفي هذه العملية تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية، وتعد عملية تكوين الأنا من أهم عمليات التنشئة الاجتماعية. فالأنا يخضع لمبدأ اللذة، ولذا فهو منطقي إذا تمكن من تحقيق رغبات (الهو) في إطار الواقع الذي يفرضه المجتمع القائم بعاداته وتقاليده وقوانينه (الأنا الأعلى).

نحو علم اجتماع تنويري

ويشتق الفرد الأنا الأعلى سماعياً من أوامر الأب ونواهيه، كما تدركها الأنا، أي مما يقوله الأب آمراً، ناهياً، مهدداً، راضياً، مشجعاً، مكافئاً. والأب بذلك ينقل لأولاده سلطة أبيه هو، وهكذا. فكأن الأنا الأعلى هو مظهر استمرار قيم وعادات وتقاليد وطقوس المجتمع إلى الأجيال القادمة وهو بذلك أساس معايير السلوك الاجتماعي.

وفي النهاية نجد أن التنشئة الاجتماعية في نشأتها وتطورها ترتبط أشد الارتباط بعملتين رئيسيتين هما: عملية تكون الأنا، وعملية تكوين الأنا الأعلى. وبهما يكتسب الفرد عاداته و تقاليده بل معاييره وقيمه أيضاً.

٣- **عملية التوافق الاجتماعي**: يعرّف التوافق بأنه " عملية ديناميكية مستمرة يهدف بها الفرد إلى تغيير سلوكه ليحدث علاقة أكثر توافقاً بينه وبين البيئة، وهي كل ما يحيط بالفرد والتي يؤثر فيها ويتأثر بها ".

وفي حقيقة الأمر هنا فرق واضح بين التكيف والتوافق الاجتماعي. ولكن قبل أن نبين دور عملية التوافق في التنشئة الاجتماعية سنحاول توضيح معنى كل منهما. فمن خلال البحث والاطلاع في أدبيات وأبحاث علم النفس الاجتماعي نجد أن التوافق باختصار شديد أعم وأشمل من مفهوم التكيف، حيث إن مفهوم التوافق الاجتماعي ينطبق

نحو علم اجتماع تنويري

على النواحي النفسية والاجتماعي، بينما مفهوم التكيف فإنه يختص بالنواحي الفيزيولوجية.

ويتجسد مفهوم التوافق الاجتماعي على سبيل المثال من خلال عملية تغيير الفرد لسلوكه ليتسق مع غيره، وذلك بإتباعه للعادات والتقاليد وخضوعه للالتزامات الاجتماعية، عملية توافق. أما عملية التكيف فإنها تتجسد على سبيل المثال من خلال تغيير حدقة العين وذلك باتساعها في الظلام وضيقها في الضوء الشديد، وتسمى هذه العملية بالتكيف الفيزيولوجي. وهكذا ندرك أهمية دور عملية التوافق الاجتماعي في التنشئة الاجتماعية.

ولا تقتصر عملية التوافق الاجتماعي فقط على الطفل بل تمتد إلى حياة الراشد، وخاصة عندما يواجه بيئة اجتماعية جديدة، وحينها تبدأ عملية التوافق الاجتماعي مع تلك البيئة.

وفي هذا السياق نجد أن أغلب الدراسات والأبحاث في مجال التنشئة الاجتماعية تتمركز حول تنشئة الطفل بشكل أساسي ونموه الاجتماعي، إلا أن مفهوم عملية التنشئة الاجتماعية في معناها العام والواسع لا تقتصر على ما يحدث للطفل وهو يتحول من فرد إلى شخص بل إنها تمتد لتشمل كل ما يحدث للفرد عندما يسعى إلى التوافق

نحو علم اجتماع تنويري

بسلوكه مع معايير وأسلوب حياة الجماعة الجديدة التي أنضم إليها بوصفه عضواً فيها. وعلى سبيل المثال تتجسد عملية التوافق الاجتماعي من خلال انتقال الفرد من نمط الحياة المدنية إلى الحياة العسكرية، أو عندما ينتقل خلال مراحل حياته من بيئة اجتماعية لأخرى ومن عمل لآخر، ومن مستوى ووضع اجتماعي لآخر، بذلك تؤكد عملية التوافق الاجتماعي استمرارية عملية التنشئة الاجتماعية خلال مراحل الحياة المختلفة للفرد.

٤- **عملية الانتقال الثقافي:** عندما تعمل التنشئة الاجتماعية على تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، فهي بالوقت نفسه تعمل على نقل الثقافة من جيل إلى آخر. فالمؤسسة الاجتماعية الأولية التي تضطلع بتشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يتمكنوا من العيش في مجتمع ذو ثقافة معينة، هي مؤسسة الأسرة بشكل أساسي ومؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى. لذلك نرى كيف أن ثقافة ما تحافظ على خصائصها الثقافية طوال أجيال متعددة، وفي هذا السياق يرى الاتجاه الوظيفي بأن عملية نقل الثقافة للأجيال القادمة يضمن استمرارية واستقرار النظام الاجتماعي، وأن مركبات الثقافة التي تبقى من جيل إلى آخر هي التي تعود بالنفع على المجتمع، وإن الفرد

نحو علم اجتماع تنويري

الذي يتعلم ثقافة مجتمعه يتعزز ارتباطه بالانتماء إلى ذلك المجتمع.

ويرى **تايلور** الثقافة بأنها " ذلك الكل المعقد الذي يشتمل على المعارف، والفنون، والمعتقدات، والقوانين، والأخلاق، والتقاليد، والفلسفة، والأديان، وبقية المواهب، التي اكتسبها الإنسان من مجتمعه بوصفه عضواً بالمجتمع.

وبما أن هذه الثقافة هي التي تميز مجتمعاً عن مجتمع آخر، فإن عملية التنشئة الاجتماعية تعتبر من أهم الوسائل التي يحافظ بها المجتمع على خصائصه وسماته الثقافية وعلى استمرارها عبر الأجيال المتعاقبة. كما يتم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية نقل القيم الحضارية الأصيلة والمحافظة عليها من الزوال بفعل القيم الدخيلة للمجتمعات الأخرى نتيجة عملية الغزو الثقافي.

لذا نجد أن فشل عملية التنشئة الاجتماعية بالنسبة للفرد قد لا يؤدي إلى مثل خطورة فشلها بالنسبة للمجتمع، لأنها عندما لا تحقق وظيفتها الثقافية فإن هذا قد يعني انتهاء المجتمع القائم وتحوله إلى مجتمع آخر.

خامساً- أهداف التنشئة الاجتماعية

تعتبر التنشئة الاجتماعية بشكل عام من أهم المقدرات التي تعبّر عن هوية المجتمعات ومستقبلها وحركتها وفاعليتها، بل هي الموجه الأكثر تعبيراً عن آفاقها، وعملية التنشئة الاجتماعية ليست ملء فراغ، بل تعد من أهم العمليات المسؤولة عن الاستفادة من إمكانيات المجتمع وتلبية احتياجاته. وتهدف عملية التنشئة الاجتماعية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، وهي كالآتي:

- ✓ **ضبط السلوك:** فمن خلال علمية التنشئة الاجتماعية يتم تدريب الفرد على التحكم في سلوكه لضبط تصرفاته بدايةً باللغة والعادات والتقاليد، وصولاً إلى كل ما يتعلق بأساليب توجيه حاجاته النفسية والاجتماعية والقدرة على توقع سلوك الآخر.
- ✓ **اكتساب المعرفة الاجتماعية:** أي اكتساب الأفراد أساليب التعامل والتفكير الخاصة بالجماعة والمجتمع من خلال تلقينهم نظم المجتمع الذي يعيشون فيه، منتقلين من التدريب على العادات الخاصة بهذا المجتمع إلى الامتثال لمعاييره الثقافية.
- ✓ **تعلم الأدوار الاجتماعية:** ليحافظ المجتمع على ذاته يضع تنظيماً محدداً للأدوار والمراكز الاجتماعية،

التي يشغلها كل فرد في جماعة معينة، وتختلف هذه المراكز حسب الفئة العمرية، والمهنية، والثقافية.

- ✓ **التكيف والتآلف مع الآخرين:** بلوغ هذا الهدف يعني تحقيق الصحة النفسية والاجتماعية للفرد، ومن مظاهره تكوين الصداقات وتنمية الذات الاجتماعية كبديل للذات الانفرادية، والإذعان لقوانين المجتمع، وتقاليده بقبول ورضاء.
- ✓ **الاستقلال الذاتي والاعتماد على النفس:** أي تعويد الفرد على التعبير عن نفسه وجعله قادراً على الاستقلال عن والديه أو غيرهما، فهذا الاستقلال يجب أن يكون مادياً ونفسياً، بصورة يؤدي فيها هذا الاستقلال إلى الشعور بالمسؤولية والواجب مع التوعية بالحقوق والواجبات.
- ✓ **تكوين القيم الروحية والوجدانية والخلقية:** أي غرس القيم الروحية في الفرد، وكذلك الضوابط الاجتماعية للسلوك الجنسي، والاتجاهات المعنوية لتحقيق التوازن بين الدوافع الغريزية وبين الدوافع الاجتماعية في شخصية الفرد. إضافةً إلى تدريب الفرد على السلوك اللائق، وتكوين ضوابط مانعة لعدم ممارسة السلوك اللا مقبول أخلاقياً واجتماعياً.

علم اجتماع تنويري

- ✓ **التعاون**: إن التعاون عملية اجتماعية تدل على أن حرص الإنسان على تحقيق مصالح الغير لا يقل عن أهمية حرصه على تحقيق رغباته الخاصة، ومصالحه الذاتية. فمن أهداف التنشئة الاجتماعية في هذا السياق اكتساب الفرد والمراهق خاصةً قيم العمل التعاوني، الذي ينشأ بين الأفراد عند تفاعلهم واحتكاك مصالحهم، ويعتبر التعاون من أهم خصائص الشخصية السوية التي تؤمن بالعمل الجماعي.
- ✓ **النجاح**: يسعى الوالدين على تنشئة ولدهما على اكتساب المعارف العلمية والقيم الاجتماعية والثقافية ليتكمن من أداء دوره بنجاح في المستقبل، ويعتبر تحقيق النجاح والوصول إلى هذا المبتغى هدفاً رئيسياً للتنشئة الاجتماعية، فالنجاح الفردي مطلباً اجتماعياً وحيوياً وهو سمة من سمات الشخصية السوية الطموحة.
- ✓ **تنمية القدرات**: إن نمو القدرات العامة للفرد تستمر بشكل منتظم في مرحلة الطفولة، حيث تنمو في هذه المرحلة نمواً سريعاً، ثم ينخفض مستوى سرعتها في مرحلة المراهقة ليهدأ النمو تماماً في منتصفها ويستمر على مستوى ثابت حتى يستقر استقراراً تاماً

نحو علم اجتماع تنويري

في مرحلة الرشد، وتلعب عملية التنشئة الاجتماعية دوراً أساسياً في تنمية وإثراء قدراته عامةً وقدراته الاجتماعية خاصةً، وتنحصر تلك القدرات في حسن التعامل والتصرف مع الآخرين، وشغل مكانة اجتماعية في جماعة ما، أو القدرة على التكيف والانسجام مع الآخرين في إطار المواقف الاجتماعية المختلفة. وهذا يؤدي بكل تأكيد إلى إيجاد فرد ذي كفاية اجتماعية لديه القدرة على التفاعل الاجتماعي الحقيقي مع كل من البيئة الطبيعية والاجتماعية.

- ✓ **التكيف**: هناك نوعين للتكيف:
  - ❖ التكيف البيولوجي: وهو الذي يحدث بين الكائن الحي وظروف البيئة الطبيعية، وكثيراً ما نقول " الأسود متكيفة مع حياة الغاب ".
  - ❖ التكيف الاجتماعي: بفضل التنشئة الاجتماعية يتطبّع الشخص بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، فيصبح عضواً مهماً وعنصراً منسجماً وفاعلاً تؤدي به إلى التكيف مع محيطه.
- ✓ **خلق الشخصية المنوالية**: أي خلق ما يسمى بالشخصية النمطية للمجتمع ذات الطابع الوطني،

نحو علم اجتماع تنويري

ويقصد بها تلك الصفات أو السمات التي ترتبط بالفرد كنتيجة لمجتمع أو كمظهر من مظاهر انتمائه العضوي لذلك المجتمع وبهذا المعنى يصبح الطابع الوطني للشخصية امتداداً لمفهوم الشخصية ولكن على المستوى الاجتماعي. بمعنى آخر أي الشخصية التي تجسم العلاقات البارزة التي يتسم الأفراد الذين يعيشون في مجتمع ما بحيث يؤدي هذا إلى وجود إطار مشترك تتحدد من خلاله الملامح المميزة للمجتمع.

وفي النهاية يمكننا القول بأن التنشئة الاجتماعية عملية معقدة متشعبة الأهداف والمرامي تستهدف مهام كثيرة وتحاول بمختلف الوسائل تحقيق ما تصبو إليه، ويرجع ذلك إلى أهمية تلك العملية ودورها الكبير في خلق مجتمع خال من الانحرافات الخلقية والاجتماعية.

سادساً- أنماط التنشئة الاجتماعية

في واقع الأمر تأخذ عملية التنشئة الاجتماعية نمطين أساسيين خلال سعيها الدؤوب إلى إتمام وظائفها تجاه النشء، وهما كالآتي:

☒ **التنشئة الاجتماعية المقصودة:** ويتم هذا النمط من التنشئة في كل من الأسرة والمدرسة، فالأسرة

نحو علم اجتماع تنويري

تعلم أبنائها اللغة وآداب الحديث والسلوك، وفق نظامها الثقافي ومعاييرها واتجاهاتها. وتحدد لهم الطرق والأساليب والأدوات التي تتصل بنقل هذه الثقافة، وقيمها ومعاييرها. كما أن التعلم المدرسي في مختلف مراحله تعليماً مقصوداً، له أهدافه وطرقه وأساليبه ونظمه ومناهجه التي تتصل بتربية الأفراد وتنشئتهم بطريقة معينة.

☒ **التنشئة الاجتماعية غير المقصودة:** ويتم هذا النمط من التنشئة من خلال دور العبادة ووسائل الإعلام والاتصال والسينما والمسرح والنوادي الثقافية الاجتماعية والجمعيات الأهلية التي تسهم إلى كبير في ترسيخ عملية التنشئة الاجتماعية من خلال الأدوار التالية:

- يتعلم الفرد المهارات والمعاني والأفكار عن طريق اكتسابه المعايير الاجتماعية التي تختلف باختلاف هذه المؤسسات.
- يتكسب الفرد من خلالها الاتجاهات والعادات المتصلة بالحب والكره واللعب والنجاح والفشل والتعاون والواجب والمشاركة وتحمل المسؤولية.

نحو علم اجتماع تنويري

- كما يتكسب الفرد من خلالها العادات المتصلة بالعمل (**قيم العمل**) أي الإنتاج والاستهلاك وغير ذلك من أنواع السلوك والاتجاهات والمعايير والمراكز والأدوار الاجتماعية.

سابعاً- أساليب التنشئة الاجتماعية

أكد الكثير من الباحثين في مجال علم الاجتماع والتربية على أهمية الجو الأسري في إتمام عملية التنشئة الاجتماعية السوية. فمن حق الطفل أن ينمو في أسرة مستقرة يسودها التوافق، والوئام، والمحبة، والألفة. وأن يعيش مع أخوته ويشاركونه حياته الأسرية. فلكل فرد من أفراد الأسرة وبالأخص الوالدين دور لا غنى عنه في التأثير على نمو الطفل من الناحية العقلية، والنفسية، والاجتماعية.

لذا يتم بشكل دائم التأكيد على أهمية الأساليب التي يمارسها الوالدين في معاملتهم لأطفالهم، لأنها تمثل حجر الزاوية الأهم في بناء شخصيتهم، التي قد تكون سوية أو مضطربة، فأثر تلك المعاملة يظهر بوضوح في سن الرشد.

نحو علم اجتماع تنويري

وفي واقع الأمر نجد أن معظم الأساليب التي يمارسها الوالدين في معاملة أبنائهم، ما هي إلا انعكاس مباشر لما تعرضوا له من معاملة خلال تنشئتهم الاجتماعية. ويبدو ذلك جلياً حين يمارس الآباء والأمهات مع أطفالهم نوعاً من المعاملة التي كانوا يتلقونها أثناء طفولتهم أي إعادة إنتاج ذاتهم مع أطفالهم.

– **مفهوم أساليب المعاملة الوالدية:** تعددت المفاهيم الخاصة بأساليب المعاملة الوالدية نظراً لتعدد هذه الأساليب. وكذلك تنوع طرقها وتداخلها، هذا بالإضافة لاختلاف طرق قياسها، والأطر النظرية والمنهجية التي يستند إليها الباحثون، وفي هذا السياق سنحاول استعراض بعض التعاريف بغية التوضيح والوصول إلى تعريف جامع شامل لمفهوم أساليب المعاملة الوالدية، وهي كالآتي:

- الإجراءات التي يتبعها الوالدان في تنشئة أبنائهم اجتماعياً، أي تحويلهم من مجرد كائنات بيولوجية إلى كائنات اجتماعية.
- تلك الأساليب العديدة التي يأخُذُها الآباء في اعتبارهم للعمل على تنمية السلوكيات الاجتماعية الإيجابية لأبنائهم.

نحو علم اجتماع تنويري

- كل سلوك يصدر عن الأم أو الأب، أو كليهما، ويؤثر على الطفل ونمو شخصيته، سواء قصدا بهذا السلوك التوجيهَ والتربية أم لا، وتتحدد في الأساليب التالية: (الرفض، القسوة، الحماية الزائدة، التذبذب، التحكم، الإهمال، التفرقة في المعاملة، إثارة القلق، الشعور بالذنب).
- إنها تلك الطرق الإيجابية والسلبية التي يمارسها الوالدان مع أبنائهم في مواقف حياتهم المختلفة، ومحاولة غرسها في نفوسهم تمسكاً منهما بعادات المجتمع وتقاليده، وتقاس عن طريق تعبير الوالدان أو استجابة الأبناء.
- إنها مجموعة من السلوكيات التي يمارسها الآباء أو الأمهات في مختلف المواقف خلال تربيتهم وتنشئتهم لأبنائهم.
- هي الأساليب التي يتلقاها الأبناء من الاباء والأمهات في مواقف الحياة المختلفة، والتي نتعرف عليها من خلال التقارير اللفظية للأبناء، وتتمثل هذه الأساليب في: (التقبل، التسامح، الرفض، الشدة، الاستقلال، التبعية، الإهمال، المبالغة في الرعاية، عدم الاتساق، التذبذب).

نحو علم اجتماع تنويري

- هي كل ما يراه الآباء ويتمسكون به من أساليب في معاملة الأطفال في مواقف حياتهم المختلفة، كما يظهر في تقريرهم اللفظي عن ذلك.

من خلال ما تقدم نستنتج من التعاريف السابقة لأساليب المعاملة الوالدية أنها تتحدد في أتجاهين أساسيين ومختلفين أحدهما سوي ويبعث على الأمن، والاستقرار، والتوازن، التقبل، التسامح، الاستقلال، في أسلوب التنشئة، والآخر غير سوي ويبعث على الاضطراب النفسي والاجتماعي ويتحدد في أساليب الرفض، والقسوة، والعقاب، والإهمال، والتفرقة، التبعية، وغيرها. ولكن رغم اختلافهما إلا أنهما يؤكدان على مضمون واحد وهو أن المعاملة الوالدية تعبّر عن أشكال التعامل المختلفة المتبعة من قبل الوالدين مع أبنائهم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، وإدراك الأبناء لهذا التعامل وما يعنيه بالنسبة لهم هو العامل المهم الذي يحدد إلى أي مدى ستكون تلك الأساليب إيجابية أو سلبية بالنسبة لهم خاصةً مرحلة الرشد.

وفي النهاية يمكننا تعريف أساليب المعاملة الوالدية: " **بأنها مجموعة الإجراءات والممارسات، التي يتبعها الوالدان في توجيه وتطبيع أبنائهم بأنماط السلوك الاجتماعي المتوافق مع قيم ومعايير وعادات وتقاليد**

د. حسام تنويري

المجتمع. وهي أساليب اختيارية وذاتية يؤثر فيها نمط شخصية الوالدين ومستواهم الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وطبيعة إدراكهم لمفهوم الطفولة والتفاعلات الأسرية والتربوية والاجتماعية. إضافةً إلى مستوى ثقافة المجتمع وحضارته ".

- **أساليب التنشئة الاجتماعية:** إن لكل ثقافة ولكل مجتمع من المجتمعات أساليبه الخاصة به في عملية التنشئة الاجتماعية عموماً والأسرة خصوصاً. لذا تختلف أساليب التنشئة الاجتماعية من حيث أهدافها ومعاييرها من مجتمع لآخر بل من أسرة لأخرى بسبب اختلاف الظروف والأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية المحيطة بها. كما أنها لا تسير على وتيرة واحدة خلال مراحل النمو المختلفة للفرد، لذلك فهي تختلف وتتداخل. وعلى العموم تنقسم أساليب التنشئة الاجتماعية إلى نمطين أساسيين، وهما كالآتي:

١- **أساليب التنشئة الاجتماعية اللاسوية (الخاطئة):** وهي مجموعة من الأساليب السلبية ذات الطابع اللفظي أو المادي، التي تصدر عن أحد الوالدين أو كليهما أثناء عملية التنشئة أو التعامل مع الأبناء داخل الأسرة في مختلف المواقف اليومية، مما ينعكس سلباً على سلوكياتهم ومستوى توافقهم النفسي والاجتماعي. وتنحصر عموماً بالأساليب التالية:

نحو علم اجتماع تنويري

أ- **الحماية الزائدة:** وهي الإفراط في رعاية الآباء لأطفالهم والمغالاة في حمايتهم والمحافظة عليهم والتدخل في كل شؤون حياتهم. فينشأ أطفال غير مستقلين اتكاليين يعتمدون على الآخرين في قضاء حاجاتهم، ولا يستطيعون مواجهة ضغوط الحياة. ومن أهم مظاهر هذا الأسلوب الاحتكاك والاتصال المادي الزائد بالطفل، ومنعه من الاستقلال في سلوكه، ومراقبة تصرفاته والتحكم بها بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

ومن أخطر نتائج هذا الأسلوب على الطفل أنه ينمي الاعتمادية الزائدة فيه، انعدام التركيز، وعدم النضج، عدم القدرة على تحمل المسؤولية، عدم الثقة بالنفس، والحساسية بشكل مفرط للنقد.

ب- **الإهمال:** ويتجسد الإهمال من خلال ترك الوالدين للطفل دون تشجيع على ممارسة السلوك الاجتماعي المرغوب فيه، وكذلك عدم محاسبته على السلوك غير المرغوب فيه. من أهم أشكال وصوره عدم إنصات الوالدين إلى حديث الطفل، أو إهمال حاجاته الشخصية، أو عدم توجيهه وإسداء النصيحة له، أو عدم مكافئته أو مدحه في حال نجاحه.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى إهمال الوالدين لأطفالهم انشغال الأهل بالوظائف لأوقات طويلة خارج المنزل وبالأخص عمل المرأة، بالإضافة إلى كثرة أفراد الأسرة وضيق المكان وانخفاض

نحو علم اجتماع تنويري

مستوى الدخل المادي للأسرة، أو بسبب عوامل التفكك الأسري التي تؤدي في أغلب الأحيان إلى حالات الطلاق وبالتالي حرمان الطفل من العيش بأجواء أسرية سوية يسودها المحبة والوئام.

ومن أهم النتائج المترتبة على هذا الأسلوب أن يفقد الطفل الإحساس بمكانته عند أسرته، وغالباً ما يحاول أن ينضم إلى جماعة يجد فيها مكانته حيث العطاء والحب الذي حرم منه، وقد تشجعه هذه الجماعة على أن يكون مخرباً وخارجاً على القانون، وذلك لأنه لم يعرف في صغره الحدود الفاصلة بين حقوقه وواجباته، وبين الصواب والخطأ، وبالتالي يصبح شخصية غير منضبطة فاقداً للحساسية الاجتماعية التي افتقدها في أسرته. كما يشعر الطفل بأنه غير مرغوب فيه وبالإحباط والقلق وبعدم الانتماء للأسرة والمجتمع، إضافةً إلى كراهية الوالدين والسخط عليهما والرغبة بالانتقام.

ج- **التذبذب**: ويتمثل في عدم الاتساق في المعاملة الوالدية للطفل، بحيث إن الوالدين لا يعاملان الطفل معاملة واحدة في الموقف الواحد، بل هناك تذبذباً قد يصل إلى درجة التناقض في الموقف الواحد. وهذا يجعل الطفل لا يستطيع أن يتوقع رد فعل والديه إزاء سلوكه، كذلك يدرك الطفل من خلال هذا الأسلوب أن

نحو علم اجتماع تنويري

معاملة والديه تعتمد على الحالة المزاجية والوقتية، وأنه ليس هناك أساس ثابت لسلوك والديه نحوه.

كما يؤدي اختلاف وجهات النظر التربوية بين الوالدين في تنشئة الطفل إلى مثل هذا الأسلوب، كأن يؤمن أحدهما بالصرامة والشدة والآخر باللين وتدليل الطفل، أي الاختلاف في إتباع الطريقة الحديثة أم التقليدية بالتربية. فعلى سبيل المثال نجد أن الأب بالثقافة الشرقية يمثل مصدراً للعقاب والشدة والقوة لأن مفهوم الرجولة عند الغالبية هو الخشونة والقوة. أما الأم بنفس الثقافة تعامل طفلها بحنان وحب زائد باعتبارها مصدر الحنان والحب دون أي التفات للآثار السلبية لمثل هذا الاختلاف في المعاملة بين الأم والأب على شخصية الطفل، مما يؤدي إلى أن يكره الطفل والده ويميل إلى الأم، وقد يحدث العكس بأن يتقمص الطفل صفات الخشونة من والده، كما يؤدي إلى ضعف الولاء لأحد الوالدين أو كلاهما.

وعلى العموم يؤدي هذا النمط من التعامل إلى اختلال معايير السوء والانحراف عند الطفل، فلا يعرف هل هذا السلوك صحيح أم خطأ لأنه مرة يكافأ عليه ومرة يعاقب عليه، مما يفقد الثقة في والديه وهما القدوة والمثل الأعلى أمامه على الصعيد الاجتماعي.

أما على الصعيد النفسي فإن التقلب في معاملة الطفل بين اللين والشدة أو القبول والرفض من أشد الأمور خطراً على

نحو علم اجتماع تنويري

صحته النفسية، فكثير من الانحرافات التي تظهر في الكبر ترجع إلى ما يتعرض ترجع إلى ما يتعرض له الطفل من صراع حاد في المواقف الطفولة ويحدث هذا نتيجة لتذبذب الكبار في معاملة الطفل بالنسبة للموقف الواحد، مما يعيق الطفل في تكوين توقعات مستقر، بالإضافة إلى شخصية متقلبة، ازدواجية منقسمة على نفسها بالتعامل مع الآخرين.

د- **التسلط والتشدد:** ويقابله على الطرف الآخر الديمقراطية والتسامح. ومن معالم الأساسية لهذا الأسلوب الضبط المفرط لسلوك الأبناء، والصرامة في معاملتهم، وإلزامهم الطاعة العمياء، والخضوع لما يملى عليهم من تعليمات من قبل الآباء بحيث لا يمنحون الفرص اللازمة للتعبير عن استقلالهم وإرادتهم، كما ينطوي هذا الأسلوب في المعاملة على رفض آراء الطفل ولومه ونقده وعقابه وحرمانه وإرغامه قسراً والتخويف المستمر من العقاب، وربما إذلاله.

وهكذا ينشأ الأبناء في جو أسري يتصف بسلوكيات تسلطية دكتاتورية بل يتحولون إلى اعتماديين ضعيفي التأثير وإلى التعلق المصطنع بالوالدين وإلى الطاعة العمياء.

وفي جميع الأحوال يؤدي هذا النمط من التعامل إلى إنماء مشاعر التهديد والخوف والقلق وخلق ضمير صارم متزمت لدى الأبناء، وتصاعد مشاعر العدائية تجاه السلطة الوالدية وربما

نحو علم اجتماع تنويري

تعميمها إلى ما يماثلها، كما يؤدي بالطفل إلى الاستكانة والخضوع وإلى قتل روح المبادأة والاستقلالية لديه، وربما يدفع به إلى الهروب من المنزل التماساً لبيئة اجتماعية أقل تقييداً وأكثر تحرراً، مما قد يسلمه إلى رفاق السوء وتبني سلوكيات عدوانية ومضادة للمجتمع.

هـ- **التفرقة بين الأبناء:** يتمثل في عدم المساواة بين الأبناء، وتكون التفرقة بينهم بسبب النوع (ذكراً أم أنثى)، أو ترتيب المولود، أو لأي سبب آخر.

فعلى سبيل المثال نجد أن الوالدين يميزان في المعاملة بين الذكر أو الأنثى بسبب معايير المجتمع الذكوري فما يقوم به الولد من سلوك قد ترفضه الأسرة إذا ما قامت به البنت، كما قد يكون التمييز لأنه من الناحية العلمية، أو لأنه يمتلك صفات جسمية تميزه عن باقي أخوته.

ويؤدي هذا الأسلوب إلى الإساءة إلى عملية التنشئة الاجتماعية للطفل عموماً، حيث يزرع الحقد في نفس الطفل المغلوب على أمره، ويجعل من الطفل المفضل والمدلل لدى والديه إنساناً أنانياً ومغروراً ومتسلطاً، يحب أن يستحوذ على كل شيء حتى لو على حساب الآخرين.

و- **تسامح الوالدين:** ويعني هذا الأسلوب الأفراط في التسامح والتساهل مع الأبناء، مما يؤدي إلى مشكلات في التوافق النفسي

نحو علم اجتماع تنويري

والاجتماعي لدى الطفل إلى جانب ميل الطفل للعدوان والتسلط، لأنه يتوقع التساهل من قبل والديه إزاء أي سلوك عدواني أو خارج عن المعايير الاجتماعية، وما يلبث أن يتعرض الطفل إلى الاضطرابات النفسية والاجتماعية نتيجةً للإحباطات عند احتكاكه بالعالم الخارجي، فهو لم يعتاد الإحباط في طفولته المبكرة، وقد تتخذ هذه الاضطرابات النفسية والاجتماعية اشكالاً شتى مثل: قضم الأظافر، وثورات الغضب، وعدم الرغبة بالانصياع للمعايير والضوابط الاجتماعية.

ز- **إثارة الألم النفسي:** ويتمثل هذا الأسلوب في جميع الأفعال التي تعتمد على إثارة الألم النفسي، وقد يكون ذلك عن طريق إشعار الطفل بالذنب كلما أتى بسلوك غير مرغوب فيه، كما يكون ذلك عن طريق تحقير الطفل والتقليل من شأنه. وفي بعض الأحيان يلجأ الوالدان إلى البحث عن أخطاء الطفل ويبدون ملاحظات هدامة مما يفقد الطفل ثقته بذاته، وغالباً ما يترتب على هذه المعاملة شخصية انسحابية منطوية غير واثقة في نفسها، توجه عدوانها نحو ذاتها.

من أهم مظاهر هذا الأسلوب أيضاً استثارة غيرة الطفل بمقارنته بالأطفال الآخرين، كذلك استخدام الشتم واللعنات والكلمات الجارحة والسخرية منه.

نحو علم اجتماع تنويري

يعتمد هذا الأسلوب من المعاملة على القسوة كعنصر أساسي في تنشئة الطفل، فالقسوة تولد الكراهية للسلطة الوالدية ولكل من يمثلها، فيتخذ الطفل من الكبار ومن المجتمع عامةً موقفاً عدائياً. كما تنمي العدوانية عند الطفل وتؤدي إلى تقمص دور الوالدين بشكل سلبي بالعلاقات الاجتماعية.

وأي شكل من أشكال العنف والقسوة في التعامل مع الأبناء يعد سوء معاملة. فالأب المفرط بالإساءة لابنه يكون أباً مريضاً يحتاج إلى علاج نفسي وفي أغلب الأحوال هو فرد أسيئت معاملته وهو طفلاً (أي إعادة إنتاج الذات مع أبنائه). وهناك المقولة التي تبين أن " **لا يوجد طفل غير سوي بل توجد أسرة غير سوية** ".

ح- **العقاب البدني**: يتمثل هذا الأسلوب في استخدام العقاب البدني (الضرب)، والتهديد به، أي كل ما يؤدي إلى إثارة الألم الجسدي.

ويعتبر هذا الأسلوب من أسوء وأخطر أساليب المعاملة الوالدية على الإطلاق لما له من منعكسات وتأثيرات سلبية على التكوين النفسي والاجتماعي. حيث يرفض المتخصصون في التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع العقاب البدني، لأنه يحل المشكلة مؤقتاً، حيث يستسلم الطفل أو يخاف ويمتنع عن السلوك الخاطئ. ولكنه لا يعلم الطفل شيئاً جديداً، والعقاب البدني مرتبط

نحو علم اجتماع تنويري

بانفعال الشخص الذي يعاقب، وهذه أخطر قضية في موضوع العقاب، حيث نفاجأ أحياناً بأن أباً كسر يد ابنه، وهنا نفهم أن العقاب البدني دائماً لا يعبر عن مقدار الخطأ بل يعبر عن مقدار انفعال الوالدين. فحين يقوم الأب بمعاقبة ابنه على كسر كوب من الزجاج داخل المنزل مثلاً، ينفعل ويعاقبه عقاباً شديداً لا يستحقه هذا الخطأ، هنا نقول إن العقاب على قدر الانفعال وليس على قدر الخطأ.

ويترك أسلوب العقاب البدني آثاراً عديدة على شخصية الطفل، فيصبح انطوائياً ويتضخم لديه الشعور بالذنب، حيث إن الشخص الذي يعتدي عليه يشعره دائماً أنه أخطأ وأنه يستحق هذا العقاب، فتقل ثقته في نفسه، ويجد صعوبة في تكوين الصدقات أو تجربة شيء جديد لتخوفه من الفشل ويميل إلى الكذب ويواجه مشاكل في التحصيل الدراسي، والتركيز، وأحياناً يصبح عدوانياً. كما أن من النتائج الخطيرة لأسلوب العقاب البدني إعاقة عملية تكوين الأنا الأعلى عند الطفل مما يجعله يفتقر إلى الرقابة الذاتية – حيث يقوم الطفل بتعديل بنفسه – ويخشى العقاب ويخاف من السلطة إذا كانت حاضرة أمامه، ولا يأبه بها إذا كانت غائبة عنه.

وفي النهاية يترتب على هذا الأسلوب إنتاج شخصية متمردة عدوانية تنزع إلى الخروج عن قواعد السلوك السوي المرغوب فيه

نحو علم اجتماع تنويري

اجتماعياً كوسيلة للتنفيس ذاتها من خلال ممارسة عدوانها نحو الآخرين. وحينما يصبح الطفل مراهقاً يمكن أن يشترك في الجوانب التي تدمر الذات مثل التدخين أو إدمان المخدرات أو الاشتراك في الأنشطة المضادة للمجتمع.

٢- **أساليب التنشئة الاجتماعية السوية:** هي مجموعة من الأساليب السوية والإيجابية التي يمارسها القائمين على عملية التنشئة الاجتماعية بهدف تحقيق التوازن النفسي والاجتماعي لأفراد المجتمع، وتطبيعهم بالأنماط السلوكية المقبولة اجتماعياً وقيمياً وأخلاقياً، مما يؤدي إلى الاندماج الاجتماعي السوي.

أ- **أسلوب التقبل الوالدي:** التقبل هو موقف تفاعلي وتكاملي بين الوالدين وأبنائهم، ويتمثل بمدى الحب الذي يبديه الوالدين للطفل من خلال تصرفاتهما نحوه في مختلف المواقف اليومية، وهو أيضاً الرضا عن الطفل والاعتزاز به والإحساس بأهميته ومكانته في الأسرة.

والتقبل هو قبول الطفل كما هو دون محاولة تغييره أو الاستهزاء بأعماله والالتفات إلى محاسنه أكثر من أخطائه، وفهم مشكلاته وهمومه والتحدث إليه بدفء عاطفي يجعله ينسى همومه وغضبه إذا كان خائفاً وتطييب خاطره إذا كان حزيناً وقضاء وقت طويل معه والاستمتاع بالعمل والخروج معه وجعله يحس إحساساً عميقاً بالود والصداقة منذ بواكير أعوامه الأولى

نحو علم اجتماع تنويري

عن طريق الابتسامة التي تنمي فيه المحبة وتبعث في نفسه الود والثقة والحنان الأبوي.

وقد أكد علماء التربية والاجتماع إلى أن تقبل الأم لطفلها شرط ضروري لتنشئته نشأة اجتماعية سوية وفعالة والنقص في هذا الجانب يؤدي إلى زيادة مقاومته لتمثل معايير وقواعد الم المجتمع الذي يعيش فيه، وبناءً على ذلك فإن النبذ من قبل الأم كثيراً ما يؤدي إلى أن يصبح سلوك الطفل سلوكاً عدوانياً ومضاداً للمجتمع.

ب- **أسلوب المساندة العاطفية:** إن الروابط الأسرية القائمة على العلاقات العاطفية تساعد على النمو السليم للأبناء والعكس هو صحيح. فالطفل المحبوب يشعر بالثقة في نفسه وفي الآخرين وينظر إلى الحياة نظرة متفائلة ويتعامل مع الأمور بواقعية.

كما أن الجلوس مع الطفل واستمتاع الوالدين بأحاديثه يدخل السعادة والسرور إلى قلبه، فيشعر الطفل بأنه أهم شخص في حياة أبويه. فهذا الأسلوب المعتاد والمنسق اتجاه الطفل يتضمن قدراً من سعي الوالدين إلى إشباع رغباته وحاجاته والتضحية والتفاني في سبيل رفاهيته. مما ينعكس بشكل إيجابي على تكوينه الجسمي والنفسي والاجتماعي بالاتجاه السوي السليم.

لكن يجب على الوالدين الحذر الشديد عند التعامل مع طفليهما بهذا الأسلوب حتى لا يفهم الطفل معاملة والديه بشكل

نحو علم اجتماع تنويري

سلبية لا يحترم فيها القواعد والأنظمة الاجتماعية، فلابد من أن يقترن بأسلوب ضبط الوالدين ويقصد به قدرة الوالدين على التدخل في الوقت المناسب حتى لا يصل الطفل إلى درجة التسيب ويكون بالإقناع والمحاورة والمناقشة وحثه على السلوك المقبول اجتماعياً.

ج- **أسلوب تقبل الفردية المعتدلة:** ويعني ذلك اعتبار الطفل فرداً كاملاً سوياً له الحق في يحيا طفولة تحترم حقوقه الفردية. ويتمحور تطبيق هذا الأسلوب حول السماح للطفل بالتحدث إلى والديه بحرية وتلقائية في حدود الأدب والاحترام المتبادل بينهما، كذلك إعطاء الطفل هامش من الحرية للتعبير عن ذاته وتطلعاته ورغباته وآرائه تجاه القضايا والمشاكل التي قد تعترضه خلال مرحلة الطفولة.

إن تقبل الفردية أسلوب من أساليب المعاملة الوالدية الإيجابية التي يدرك منها الطفل أنه إنسان فريد من نوعه بالنسبة لوالديه له الحق في التعبير عن ذاته ورغباته دون إكراه أو إرغام مما يؤدي إلى بلورة شخصيته بشكل سوي خالي من العقد النفسية والاجتماعية وبالأخص فيما يتعلق بالكبت والخجل وعدم القدرة على مواجهة المواقف.

د- **أسلوب التعامل الديمقراطي:** يقصد به البعد عن فرض النظام الصارم على الأطفال والتشاور المستمر معهم واحترام

نحو علم اجتماع تنويري

آرائهم وتقديرها، وإتباع الأسلوب الإقناع والمناقشة التي تؤدي إلى خلق جو من الثقة والمحبة. بمعنى آخر يعتمد هذا الأسلوب على منح المكانة المتساوية لجميع أفراد الأسرة من حيث الحرية والمساواة والمكانة المتساوية وحق إبداء الرأي والمناقشة الحرة واستقلال الشخصية والمكانة المتساوية بين الأطفال دون تفرقة.

كما يعتمد هذا الأسلوب على العقلانية والوسطية والتوازن في الصرامة والجد واللين في تنشئة الأبناء والتقبل الفعلي لهم وتحاشي القسوة الزائدة والدلال الزائد وكذلك التذبذب بين الشدة واللين والتوسط في إشباع حاجات الطفل الجسمية والنفسية والاجتماعية، بحيث لا يعاني من الحرمان ولا يتعود على الإفراط في الإشباع، بحيث يتعود على قدر من الفشل والإحباط، وذلك لأن الحياة لا تعطيه كل ما يريد، كما يمتاز هذا الأسلوب بوجود تفاهم مشترك بين الأب والأم على أسلوب التربية.

إن أسلوب المعاملة الديمقراطي ليس حكراً على مرحلة عمرية معينة بل يمتد إلى مراحل أخرى. ولعل من أهم مظاهر هذا الأسلوب قيام علاقات أسرية جيدة بين الآباء والأبناء قائمة على احترام الرأي والرأي الآخر. فالاختلاف بالرأي لا يفسد بالود قضية، بحيث يمكن التوفيق بين الطرفين باستخدام العقل والمنطق وليس بطريقة الفرض والإكراه.

نحو علم اجتماع تنويري

كما يعتبر الحوار من أهم مظاهر هذا الأسلوب باعتباره قيمة حضارية وإنسانية ودينية، يجب أن يعمل بها الأولياء في ممارساتهم التربوية والأسرية اليومية، فهو من ناحية يخلق التفاعل الدائم بين الطرفين أو الأطراف المتحاورة. كما أنه يزيل الغموض ويوصل إلى كشف الحقائق الغائبة عن ذهن الأولياء المتعلقة بحياة أبنائهم وخاصة في مرحلة المراهقة. وفي النهاية يعتبر الحوار من أهم الوسائل الموصلة إلى الإقناع وتغيير الاتجاه الذي يدفع إلى تعديل السلوك الاجتماعي نحو الأفضل وترويض النفس على قبول النقد واحترام آراء الآخرين، والتخفيف من مشاعر الكبت وتحرير النفس من الصراعات والمشاعر العدائية.

سابعاً- مؤسسات التنشئة الاجتماعية

في حقيقة الأمر هناك العديد من المؤسسات التي تساعد في عملية التنشئة الاجتماعية أهمها الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق، دور العبادة، وكذلك وسائل الإعلام.

وتعتبر المؤسسات المحيطة بالطفل مصادر خبرة مختلفة تلعب أدواراً هامة في نموه وارتقائه بحكم ما تمثله من متغيرات اجتماعية تجد طريقها إلى بنائه النفسي والاجتماعي. ومن الواضح أن تأثير هذه المؤسسات ليس متماثلاً بالمحصلة، فالأدوار التي تلعبها أدوار متباينة ومختلفة، وبالتالي من حيث

نحو علم اجتماع تنويري

تأثيرها أيضاً. وعلى العموم تمر عملية التنشئة الاجتماعية بمراحل مختلفة، وهي كالآتي:

- **تنشئة اجتماعية أولية:** تتم داخل الأسرة، وبالأخص فيما يتعلق بالسنوات الست الأولى من عمر الطفل، وهي أعمق أثراً في تكوين شخصية الفرد.
- **تنشئة اجتماعية ثانوية:** ويتعرض لها الطفل خارج أسرته في الحضانة والروضة والمدرسة و دور العبادة والنوادي و جماعات الرفاق والأقران. وقد يتعرض خلالها لإعادة تنشئة من خلال النماذج التي يصادفها وتكون مغايرة لتلك التي قدمتها الأسرة.
- **تنشئة اجتماعية موازية:** وهي موازية للتنشئة الأولية والثانوية، وتقدمها وسائل الإعلام والاتصال ومصادر المعلومات المختلفة.

وفي هذا السياق سنحاول استعراض مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وهي كالآتي:

١- **الأسرة:** هي الخلية الأساسية في المجتمع وأهم جماعاته الأولية، حيث تشكل رابطة اجتماعية تتكون من الأب والأم والأبناء. بذلك فإن الأسرة هي أول جماعة إنسانية يحتك بها الطفل احتكاكاً مباشراً مستمراً في سنواته الأولى، ومن ثم هي

نحو علم اجتماع تنويري

التي تشكل وجدانه الاجتماعي والثقافي، وترسخ فيه مجموعة القيم والعادات والتقاليد المقبولة اجتماعياً.

بناءً على ما سبق يمكن لنا تعريف الأسرة بأنها " **جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية، تتكون من رجل وامرأة تقوم بينهما رابطة يقرها المجتمع وأبنائهما، يعيشون تحت سقف واحد، ويشتركون في ثقافة واحدة، ويشكلون وحدة اقتصادية واحدة** ".

أما عن أشكالها فإننا نميز بين شكلين أساسيين هما: الأول **الأسرة النووية (النواة)** وهي جماعة اجتماعية صغيرة تتكون من الأب والأم والأبناء غير البالغين وتقوم كوحدة مستقلة عن باقي المجتمع المحلي. وتتسم هذه الأسرة بصلابة العلاقات الاجتماعية بين أفرادها، ولكن سرعان ما تضعف هذه العلاقة بعد بلوغ الأطفال الذين غالباً ما يتأثرون بجماعات وفئات المجتمع التي يحتكون معها في حياتهم اليومية وقد تنقطع علاقات الأبناء بالآباء بعد زواج الأبناء خصوصاً في انتقالهم الجغرافي. ينتشر هذا الشكل من الأسر في المجتمعات الحديثة عموماً والمجتمع الصناعي خصوصاً لأنه يعبر عن الفردية التي تنعكس في حقوق الملكية والأفكار والقوانين الاجتماعية العامة حول السعادة والإشباع الفردي. أما الشكل الثاني فهو **الأسرة الممتدة** وهي الأسرة التي تتكون من عدة وحدات أسرية نووية تجمعها الإقامة المشتركة والقرابة الدموية، وهي النمط الشائع

نحو علم اجتماع تنويري

قديماً في المجتمع ولكنها منتشرة في المجتمع الريفي، بسبب انهيار أهميتها في المجتمع نتيجة تحوله من الزراعة إلى الصناعة، وتتنوع إلى أسرة ممتدة بسيطة تضم الأجداد والزوجين والأبناء وزوجاتهم، وأسرة ممتدة مركبة تضم الأجداد والزوجين والأبناء وزوجاتهم والأحفاد والأصهار والأعمام، وهي تعتبر وحدة اجتماعية مستمرة لما لا نهاية حيث تتكون من ثلاثة أجيال وأكثر، وتتسم بمراقبة أنماط سلوك أفراد الأسرة والتزامهم بالقيم الثقافية للمجتمع، وتعد وحدة اقتصادية متعاونة يرأسها مؤسس الأسرة، ويكتسب أفرادها الشعور بالأمن بسبب زيادة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة.

وترجع أهمية الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها تمثل المكانة البارزة بالحياة الاجتماعية، فهي البيئة الأساسية الصالحة لتنشئة الطفل والوسيلة الهامة التي تشرف على نموه الاجتماعي وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه، كما بواسطتها يحفظ المجتمع تراثه الثقافي والاجتماعي وينقله عبر الأجيال المتعاقبة، كما أنها مصدر الأمان النفسي والاجتماعي والدفء العاطفي لكل فرد في المجتمع.

لذا نجد أن الميلاد البيولوجي للفرد ليس هو الأمر الحاسم في وجوده واستمراره، وإن العامل الحاسم هو ميلاده الاجتماعي أي تكوينه كشخصية اجتماعية ثقافية تنتمي إلى مجتمع بعينه،

علم اجتماع تنويري

وتدين بثقافة بذاتها، والأسرة هي صاحبة الفضل في تحقيق ميلاده الاجتماعي الذي نطلق عليه عملية التنشئة الاجتماعية. وتقوم الأسرة بعدة وظائف تكاد تكون متشابهة في كافة المجتمعات، رغم تنوع طرق ممارساتها باختلاف الإطار الثقافي للمجتمع. فالأسرة في وسيلة للاستمرار المادي للمجتمع، التي تزوده بأعضاء جدد عن طريق التناسل، كما تقوم الأسرة بالمحافظة على الاستمرار المعنوي للمجتمع لأنها مصدر الأساسي للتثقيف الديني والأخلاق والمثل العليا والقيم والمعايير الاجتماعية والإطار الثقافي لضبط السلوك وتربية الأفراد وتنشئتهم وتوجيههم.

٢- **المدرسة**: هي مؤسسة اجتماعية تربوية تعليمية، أنشأها المجتمع للإشراف على عملية التنشئة الاجتماعية، ولتكوين الموارد البشرية المؤهلة من أجل تطوره وتقدمه. أو هي المؤسسة الاجتماعية التي توكل إليها مهمة التربية الحسية والفكرية والأخلاقية لكل من الأطفال و المراهقين.

بالرغم من أن المظاهر الأولى للتنشئة الاجتماعية تبدأ وتترعرع في جو الأسرة كما ذكرنا سابقاً، إلا أن الأسرة لم تعد تستأثر وحدها بتلك التنشئة في عالمنا المعاصر وذلك نتيجة لعلمية التصنيع الذي أدى بدوره إلى تحديث المجتمعات وتطورها حتى أضعف دور وأثر الأسرة في عملية التنشئة عندما تصبح

نحو علم اجتماع تنويري

فرص التعليم متاحة للجميع وتصبح المؤسسات التعليمية المختلفة بما فيها المدرسة والجامعة هي المدخل الطبيعي لكسب الرزق وهذا ما يحدث الآن في أغلب المجتمعات الحديث والمعاصرة، وخاصة في البلدان التي تخطط لنفسها لتتطور من مجتمعات نامية لمجتمعات متقدمة وتتحول من مجتمعات زراعية إلى مجتمعات صناعية وتكنولوجية، من أجل هذا يتسع مجال التنشئة الاجتماعية ليجاوز الأسرة إلى المدرسة.

ومن الملاحظ في الآونة الأخيرة أن أثر المدرسة زاد في عملية التنشئة الاجتماعية بسبب اضمحل أثر الوراثة في تحديد المكانة الاجتماعية، حيث أصبحت المكانة الاجتماعية تكتسب عن طريق التعليم، وبذلك أصبح الفرق بين الأسرة والمدرسة في التنشئة الاجتماعية هو أن الفرد يكتسب مكانته في الأسرة عن طريق الجنس والسن وصفاته الخاصة، بينما في المدرسة يكتسب مكانته الاجتماعية عن طريق المنافسة والامتحانات التي تؤهله بعد ذلك لسوق العمل في المستقبل، وقد تتصف مهنته بالمكانة الاجتماعية المرموقة أو غير المرموقة.

بذلك تعبر المدرسة ضرورة حتمية في الوقت الحاضر وخاصةً بعد تعقد الحياة الاجتماعية فأصبح دور المدرسة متخصص في نقل المعارف والعلوم، وبالتالي الثقافة من جيل إلى آخر بطريقة منظمة ومقصودة لتحقيق النمو الجسمي والعقلي والانفعالي

نحو علم اجتماع تنويري

والاجتماعي للفرد، فأصبحت وظيفة المدرسة توفير بيئة تتكون من مجموعة من المعارف لتنشئة الأطفال على أنواع من السلوك المنتقاة من ثقافة المجتمع ومعاييره، حتى لا تتعارض مع ما تقدمه الأسرة لأبنائها، فوظيفتها إذن مكملة لدور الأسرة، ويمكن أن نبين باختصار شديد أهم وظائف المدرسة، وهي كالآتي:

- ✓ **نقل التراث الثقافي:** إن الوظيفة الأساسية للمدرسة هي استمرار ثقافة المجتمع و دوامها، وذلك بأن تُيسر لأبناء المجتمع امتصاص قيم ذلك المجتمع واتجاهاته ومعايير السلوك التي يرتضيها المجتمع في المواقف والمناسبات الاجتماعية المختلفة.
- ✓ **التكامل الاجتماعي:** أي توفير بيئة تساعد على تحقيق حياة متوازنة ومنسجمة يعيش فيها جميع أفراد المجتمع من أطفال وشباب مهما كانت مستوياتهم الاجتماعية للعمل في سياق مشترك، وبذلك فهي تسعى إلى التنسيق بين مختلف المؤثرات التي يتلقاها الفرد أو المراهق لبعض القيم التي يتشربها من الأسرة، ويتعرض لأخرى مخالفة في جماعة الرفاق، ويستمد قيماً أخرى من دور العبادة وبذلك فإن المراهق وغيره سوف يواجه مجموعة من التناقضات قد تؤدي إلى صراع داخلي، وبذلك فمن مهام المدرسة أن تقوم بدورها في تحقيق ما يسمى بالتكامل الاجتماعي للقضاء على هذا التناقض.

حسام الدين فياض

- ✓ **النمو الشخصي**: إذا كانت المدرسة تعمل على نقل التراث الثقافي وتحقيق التكامل الاجتماعي، فإنها تعمل كذلك على زيادة النمو المعرفي والشخصي لدى الطفل سواءً داخل البيئة المدرسية أو الاجتماعية، ولا يتم ذلك إلا عن طريق نقل ونشر العلوم المعرفية والعلمية في شتى المواد المدرسية من خلال منهج منظم متضمن لاحتياجات الطالب والمجتمع ككل ودعم القيم السائدة في المجتمع بشكل مباشر وصريح في المناهج الدراسية.
- ✓ **القدرات الإبداع**: تسعى المدرسة بوصفها مؤسسة تربوية تعليمية إلى تنمية القدرات الإبداعية لدى الفرد بواسطة استشارة وتنشيط ملكة الخيال ومحاولة الكشف والبحث عن أسباب حدوث الظواهر الطبيعية والاجتماعية.
- ✓ **التربية الديمقراطية**: وذلك من خلال فتح المجال أمام الطلبة على تعلم قواعد و ممارسة الثقافة الديمقراطية في إطار العلاقات الإنسانية والاجتماعية عن طريق الحوار والمناقشات البناءة بين الطلاب في إطار تقبل الآخر والرأي الآخر وتنشيط الحركة الثقافية داخل المدارس وغيرها من الخطوات التي تنشئ الفرد على الوعي الديمقراطي، والذي يبدأ من الأسرة، فالمدرسة، والمجتمع.

وبهذا نجد أن للمدرسة دور كبير لا يستهان به في عملية

د. حسام الدين فياض

تنشئة اجتماعياً وتربوياً وثقافياً بعد الأسرة باعتبارها المؤسسة الثانية من مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

٣- **دور العبادة:** تلعب دور العبادة دوراً حيوياً في حياة ونفوس الأفراد والجماعات بتأكيدها للقيم الخلقية والروحية ودعوتها إلى الاتصال بالخالق عز وجل والامتثال لسننه وشرعه. ولا يخفي ما لهذا من أهمية بالغة في تكوين أفراد المجتمع إيمانياً وأخلاقياً وقيمياً.

بذلك تقوم دور العبادة بدور كبير في عملية التنشئة الاجتماعية لما تتميز به من خصائص فريدة أهمها إحاطتها بهالة من التقديس، وثبات وإيجابية المعايير السلوكية، التي تُعلمها للأفراد، والاجتماع على تدعيمها.

وتعدت دور العبادة حدود هذا الدور الروحي والديني، من خلال قيامها أيضاً بالمهام التعليمية والتربوية فمزجت به تدريس المواد الشرعية والدنيوية، على نحو ما تقوم به المدارس النظامية، حيث اتخذت لنفسها مدارس خاصة تزاول فيها هذه المهمة ويتولى رجال الدين التعليم فيها.

أما عن أثر دور العبادة في عملية التنشئة الاجتماعية فتتلخص فيما يلي:

نحو علم اجتماع تنويري

- ✓ تعليم الفرد والجماعة التعاليم الدينية والمعايير السماوية التي تحكم السلوك بما يضمن سعادة الفرد والمجتمع.
- ✓ تنمية الضمير الأخلاقي عند الفرد والمجتمع.
- ✓ الدعوة إلى ترجمة التعاليم السماوية السامية إلى واقع ملموس أي ربط النظرية بالممارسة.
- ✓ توحيد السلوك الاجتماعي والتقريب بين مختلف الطبقات الاجتماعية.
- ✓ الحث على تفعيل دور التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.
- ✓ نشر ثقافة الرحمة ومحبة الآخر والعطف عليه.

وما أحوجنا في هذا الأيام إلى زيادة دور فعالية دور العبادة في الواقع الاجتماعي لما لها من أهمية بالغة في زرع الأخلاق الحميدة والقيم الوسطية النابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. فعن طريق اتباع تعاليم القرآن الكريم وفهمه فهماً صحيحاً سنربي جيلاً مؤمناً يسير في ضوء التعاليم الدينية الإسلامية.

٤- **جماعة الرفاق:** تقوم جماعة الرفاق بدور إيجابي في عملية التنشئة الاجتماعية، عن طريق تأثيرها في معايير الفرد الاجتماعية، كما أنها تمكن الأفراد من القيام بأدوار اجتماعية

نحو علم اجتماع تنويري

معينة، بالإضافة إلى وجود الرفاق الذين يشتركون في مرحلة نمائية بمطالبها وحاجاتها.

ويتلخص أثر جماعة الرفاق في عملية التنشئة الاجتماعية، فيما يلي:

- ✓ تنمية الشخصية بصفة عامة واكتساب نمط شخصية جماعة.
- ✓ المساعدة في النمو الجسمي عن طريق إقامة فرصة ممارسة النشاط الرياضي، والنمو العقلي عن طريق ممارسة الهوايات، والنمو الاجتماعي عن طريق أوجه الأنشطة التعاونية وتكوين الصداقات، والنمو الانفعالي عن طريق المساندة الانفعالية ونمو العلاقات العاطفية في مواقف لا تتاح في غيرها من الجماعات.
- ✓ تكوين معايير اجتماعية وتنمية الحساسية والنقد نحو بعض المعايير الاجتماعية للسلوك.
- ✓ القيام بأدوار اجتماعية جديدة مثل القيادة.
- ✓ نمو الولاء للجماعة والمنافسة مع الجماعات الأخرى.
- ✓ تنمية اتجاهات نفسية نحو الكثير من موضوعات البيئة الاجتماعية.
- ✓ إقامة فرصة التجريب والتدريب على الجديد والمستحدث من معايير السلوك.

نحو علم اجتماع تنويري

✓ تصحيح التطرف أو الانحراف في السلوك بين أعضائها.

وفي النهاية نرى أن جماعة الرفاق لها أثر بالغ الأهمية بالتأثير على سلوك الفرد قد يفوق أثر المنزل أو المدرسة ويتأثر هذا السلوك بنوع من العلاقات القائمة بين جماعة الأصدقاء بالعادات والتقاليد، التي تفرضها الجماعة على أفرادها ونوع الجو الاجتماعي السائد فيها، وترجع أهمية هذه الصحبة في عملية التنشئة الاجتماعية بأنها تهيئ للمراهق الجو المناسب للتعامل الاجتماعي في مرحلة الرشد، كما أنها تنتج له فرص التفاعل الاجتماعي مع الآخرين بصفة متكافئة.

وكما لهذه الجماعة دوراً إيجابياً في عملية التنشئة الاجتماعية، فإن لها دوراً سلبياً أيضاً في دفع الفرد نحو مهاوي الرذيلة والانحلال، فكم من فرد نشأ على الأخلاق الحميدة والقيم السامية ذهب ضحية رفاق السوء نتيجة انحرافه عن معايير السلوك المقبول أخلاقياً و اجتماعياً، وكما يقول المثل " **قل لي من تصاحب أقول لك من أنت** ".

بناءً عليه نرى أن جماعة الرفاق سلاح ذو حدين حد يكون إيجابياً يساعد على اكتساب الأخلاق والمثل العليا وتنمية الفرد نفسياً واجتماعياً، وحد سلبي يؤدي إلى الهلاك والفساد والضياع.

نحو علم اجتماع تنويري

٥- **وسائل الإعلام:** انطلاقاً من الثورة التكنولوجية الهائلة التي حدثت في وسائل الإعلام والتي جعلت من العالم قرية صغيرة، مما جعلها تحتل مكاناً بارزاً في كل مجتمعات العالم بلا استثناء. فإن الحديث عن وسائل الإعلام وأثرها في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد لا يمكن أن تحصرها دراسات علمية محدودة الأثر، فالاهتمام بها لا زال الشغل الشاغل للعلماء بكافة التخصصات الإنسانية والاجتماعية. حيث تلعب وسائل الاتصال دوراً كبيراً في تكوين ثقافة الفرد.

فإذا كانت الأسرة تنقل إلى الطفل عامةً المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم التي تسود المجتمع، بعد أن تترجمها إلى أساليب عملية التنشئة الاجتماعية، فإن وسائل الاتصال تعتبر امتداداً لدور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية.

وتتعدد وسائل الإعلام من حيث طبيعتها وأهدافها وجمهورها، فهناك وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، والتي قد تختلف كل منها عن الأخرى من حيث قدرتها الإقناعية، فهي تختلف باختلاف طبيعة الفكرة المراد نقلها من ناحية، وباختلاف فئات الجمهور الذي توجه إليه الدعوة، بل وباختلاف طبيعة ووسيلة الاتصال وخصائصها – في حد ذاتها – من ناحية ثالثة. إلا أنه سواء كانت وسائل الإعلام مقروءة أو مسموعة أو مرئية

نحو علم اجتماع تنويري

فإنها تلعب دوراً هاماً في تنشئة الأفراد وتنمية شخصيتهم والتأثير فيهم بشكل ملموس.

وتقوم وسائل الإعلام بدور شديد الأهمية في عملية التنشئة حيث أنها تعد من أكثر مؤسسات التنشئة وجوداً وتنوعاً وثقلاً في المجتمع، إذ لا يخلو مكان منها، ومن أهم هذه الوظائف التي تقوم بها:

- تقوم وسائل الإعلام المختلفة بدور الرابط الاجتماعي بين الناس وتعميق الصلات الاجتماعية بينهم للوصول إلى هدف تنميتها بشكل مستمر.
- إحاطة الناس علماً بموضوعات معينة وذلك بتعرضهم لمعلومات عن جوانب متعددة من الواقع. وذلك من خلال أجهزتها المتعددة والتي تنتشر في كل مكان حيث تعمل على نشر الوعي والمعرفة حول العديد من القضايا التي تهم الناس.
- إغراء الناس واستمالتهم ليسلكوا بما يتفق مع رغبة موجه الرسالة.
- تقوم وسائل الإعلام بتقديم نموذج القدوة للشباب على اعتبار أن نموذج القدوة في إطار التنشئة الاجتماعية يكسب الشباب الأفكار والقيم والمعايير والانفعالات التي

نحو علم اجتماع تنويري

تناسب كل أنواع الأدوار الاجتماعية في الأسرة والمهنة والدين والسياسة والتعليم.

- ويمكن الإضافة إلى الوظائف السابقة وظيفة التثقيف حيث تعمل وسائل الإعلام على نقل ونشر مكونات الثقافة في أرجاء المجتمع، مما يساعد على تماسك وترابط أجزاءه وأقاليمه المختلفة في وحدة ثقافية متماثلة هذا من جهة، وعلى ربط المجتمع ذاته بغيره من المجتمعات الأخرى مما يساعد على استيعاب المجتمع لقيم وثقافة الآخر بما يتناسب مع قيمه وثقافته من جهة أخرى.

وقد قام عدد كبير من الباحثين والعلماء بوضع تصنيفات لتأثير وسائل الإعلام وأهدافها، وفي هذا الإطار يعرض الباحث لأهم التصنيفات التي وضعها الباحث الأمريكي " **جوزيف كلابر**"، والذي أشار إلى أن اتجاهات تأثير وسائل الإعلام محدودة بالنسبة لأي موضوع، فأي رسالة تهدف إلى التأثير قد:

- ✓ تخلق آراء أو اتجاهات بين الأفراد الذين لم يكن عندهم أي اتجاهات أو آراء حول الموضوع.
- ✓ تدعيم (تزيد أو تؤيد) اتجاهات موجودة فعلاً.
- ✓ تقلل من شدة الاتجاهات الموجودة بدون أن تحقق تحولاً بالفعل.

نحو علم اجتماع تنويري

- ✓ تجعل من الأفراد يتغيرون من قناعاتهم.
- ✓ لا يكون لها أي تأثير على الإطلاق على الأقل من الناحية النظرية.

ويمكن الإشارة إلى أهم الأساليب النفسية والاجتماعية التي تتبعها وسائل الإعلام في عملية التنشئة الاجتماعية، كما يلي:

١- **التكرار**: حيث تعتمد وسائل إعلام الطفل، شأنها شأن وسائل الإعلام العامة إلى إحداث تأثير معين عن طريق تكرار أنواع معينة من العلاقات والشخصيات والأفكار والصور، ومثل هذا التكرار يعرف الأطفال أشياء كثيرة عن الحياة، وعن مجتمعهم.

٢- **الجاذبية**: ومما يضاعف أثر التكرار تنوع الأساليب التي تشد الأطفال إلى وسائل الإعلام العامة.

٣- **الدعوة إلى المشاركة**: قد يلجأ موجهو بعض وسائل الإعلام إلى دعوة الأطفال إلى المشاركة الفعلية وذلك إما بالكتابة أو الرسم لإبداء رأي أو حل مشكلة في موضوع معين، وهذا الأسلوب قد يرتبط مع الطفل بإعطائه مكافأة أو تحقيق أمنية له، ولو بذكر اسمه أو نشر صورة له.

٤- **عرض النماذج**: وهذه النماذج قد تكون نماذج شخصية يتمثل فيها سلوك معين لشخص يشغل مكانة مرموقة في المجتمع مما يخلق القدوة الحسنة لدى الفرد.

نحو علم اجتماع تنويري

ومن هنا يتبين مدى أهمية الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد، والتي يمكن اعتبارها من أهم المؤسسات الاجتماعية، تأثيراً في حياة الفرد. حيث أنها قد تكون أداة فعالة وقوية في نشر وترسيخ القيم والقواعد الخلقية والإنسانية، أو قد تكون أداة لهدم بناء المجتمع بكل قواعده القيمية والأخلاقية. وهو ما يتفق مع ما يشير إليه البعض من أن وسائل الإعلام لها أثرها في تربية وسلوك النشء، فإذا كانت وسائل الإعلام رديئة المستوى فإن لها أثرها الضار بالمستوى العام والأخلاق.

وفي النهاية يمكننا القول بأن ما تم استعراضه من مؤسسات التنشئة الاجتماعية ليست هي في حقيقة الأمر كل المؤسسات، وإنما تعتبر أهم المؤسسات الفاعلة والواضحة عند المتخصصين وغير المتخصصين، فهناك على سبيل المثال النوادي الترفيهية والرياضية وبعض الجمعيات الثقافية والاجتماعية التي ينضم إليها الفرد، دون أن ننسى الدور الهام الذي يلعبه الشارع في تنشئة أفراد المجتمع. فالمؤسسات الاجتماعية والتربوية مادامت تسعى إلى تربية وتنمية وتنشئة الفرد في كافة النواحي، فمن الضروري أن يكون هناك تناغم وتعاون وتنسيق فيما بينها داخل البناء الاجتماعي حتى لا يختل توازن الأفراد، بالرغم من أن كل مؤسسة تضطلع باختصاص معين.

نحو علم اجتماع تنويري